العنوان:	من اصول هذا الدين
المصدر:	هدي الإسلام
الناشر:	وزارة الأوقاف والشئون والمقدسات الإسلامية
المؤلف الرئيسي:	بلال، سعيد أحمد محمد
المجلد/العدد:	مج 8, ع 9
محكمة:	لا
التاريخ الميلادي:	1964
الشهر:	رمضان
الصفحات:	64 - 66
رقم MD:	406660
نوع المحتوى:	بحوث ومقالات
قواعد المعلومات:	IslamicInfo
مواضيع:	الوعظ و الارشاد، الأخلاق الإسلامية، الآداب الإسلامية، الدعوة الإسلامية
رابط:	http://search.mandumah.com/Record/406660

© 2021 دار المنظومة. جميع الحقوق محفوظة.
هذه المادة متاحة بناء على الإتفاق الموقع مع أصحاب حقوق النشر، علما أن جميع حقوق النشر محفوظة. يمكنك تحميل أو طباعة هذه المادة للاستخدام الشخصي فقط، ويمنع النسخ أو التحويل أو النشر عبر أي وسيلة (مثل مواقع الانترنت أو البريد الالكتروني) دون تصريح خطي من أصحاب حقوق النشر أو دار المنظومة.

من اصول هذا الدين

بقلم : الأستاذ سعيد احمد محمد بلال
امام وخطيب مسجد التينة — بنابلس

« وان هذا صراطي مستقيماً فاتبعوه ولا تتبعوا السبل فتفرق بكم عن سبيله ذلكم وصاكم به لعلكم تتقون » . صدق الله العظيم

لقد اعطى رسول الله صلى الله عليه وسلم تجربة واقعية عن امكانية مزج المعنويات السامية بالواقع المحسوس ، كما اعطى درساً عملياً بالغاً لحكم العقيدة وتحكم الايمان . فنحن لم نعرف دولة أو شعباً قام مجتمعه على اسس دينية ومن معين عقيدته غير الامة الاسلامية وبذلك اثبت ان اسس الدين التي نادى بها واقعية ليس فيها شيء من الخيال او المحال . . فما طبق مرة يستطاع تطبيقه مرة أخرى . فالانسان هو الانسان بغرائزه وطبيعته وقواعد تأثيره وتأثره لم يتغير منه شيء . . وليس في حياة احد من الصحابة الكرام ولا في حياة محمد ﷺ شيء من الغموض او الخفاء وقد بينها التاريخ ووضعها ماثلة امامنا . . ان كل جانب من حياته ليدلل على انه بشر ليس غير ، الا ان رسالته التي نادى بها فوق مستوى البشر قطعاً . . وقد خصها الله تعالى باصول عدة ليست لغيرها ، فهي رسالة « شاملة جامعة » ما لم نعهده في مبدأ أو عقيدة ، وبذلك ينفرد هذا الدين عن جميع المبادىء والعقائد . . وعلى هذا فلا يصح ان نضعه في مقياسها او نحكمه بمنطقها ، فهو ينفرد عنها جميعا بانه يمزج الدين بالدولة ، والقرآن بالسياسة ، ومحمد ﷺ قدوة المسلمين كان يدير شؤونهم في السلم والحرب وهو خطيبهم في الجمعة وأمامهم في الصلاة وقائدهم في المعركة .

وكذلك كان خلفاؤه الراشدون وهم في ذلك كله متمشون مع منطق القرآن الكريم الذي يمزج الايمان بالحكم والدين بالدولة فيقول : « فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليما[٢] ويقول : « وان

(١) الانعام آية ١٥٢
(٢) النساء آية ٦٤

احكم بينهم بما انزل الله ولا تتبع اهواءهم واحذرهم ان يفتنوك عن بعض ما انزل الله اليك، فان تولوا فاعلم انما يريد الله ان يصيبهم ببعض ذنوبهم وان كثيراً من الناس لفاسقون . . افحكم الجاهلية يبغون ؟ ومن أحسن من الله حكماً لقوم يوقنون[٣] .

ويعجب كثير من الناس من هذا المنطق الغريب الذي لم يألفوه ويتساءلون في حيرة عجيبة : لم هذا الخيط ؟ وعلام المزج بين الدين والدولة ؟ وما علاقة هذا بذاك ؟ دع كلا في ميدانه ، دع الدين يربي القلوب ويحيي الضمير في المعبد ودع للسياسة اهلها ، دع الدين يربي الخلق ودع للحكم اهله . كانما يشترطون ان لا يكون للرجل السياسي دين ، وأن لا يكون له ضمير أو خلق . . ماذا يصير لو يحمل السياسي قلباً يحمل فيه الايمان والورع بعيداً عن الاغراض الشخصية والمطامع الدنيئة ؟ ماذا يصير لو يحمل السياسي ضميراً رباه الدين على محاسبة نفسه قبل ان ينتهك حرمات غيره ؟ اليس من الاولى ان يكون ذاك ؟ وهل نكبة العالم اليوم الا برجال ليست لهم ضمائر وخلق وليست لهم كلمة او ميثاق .

انكم ان تركتم الدين يربي رجالا ليست لهم علاقة بواقع الحياة ، فما الفائدة اذن ؟ ومن يضمن لنا رجالا سياسيين ذوى اخلاق رفيعة وضمائر حيـة ، ورجالا اقتصاديين لا تحركهم الدناءة لجر الاموال اليهم وابتزازها بشتى الوسائل من جيوب غيرهم . . من يضمن لنا هذا وذاك والدين هو الذي يربي الخلق وقد ابعدتموه عن الحياة .

وقد يحلو لقائل ان يقول : انه من الممكن ان يستغل الدين للمنافع الشخصية ويتخـذ ستاراً للتنكيل بالحريات وازهاق الارواح البريئة كما حدث فعلا .

فنقول : هل الدين وحده اتخذ ستاراً لذاك ؟ وهل وحده استغل لهذا الخصوص ؟ كم سلبت حريات باسم الحرية وديست كرامات باسمها كذلك ؟ . . كم ارتكبت جرائم تحت ستار الدستور وبحجة المحافظة عليه ؟ فهل ينبغي ان ننادي بابعـاد الحرية عن واقع الحياة لانها اتخذت ستاراً للبطش والتنكيل ، وننادي بتعطيل الدساتير ؟ .

ثم هل الرجال المستبدون والحكام الظالمون استغلوا الدين وحده لدعم سلطانهم ؟ فهتلر مثلا هل كان يطغى بحجة الدين ، وستالين هل كان يقتل الألوف ويستعبد الملايين تحت ستار الدين أيضاً ، وموسوليني ؟

الحق أن كل معنى جميل يمكن أن يتخذ ستاراً لذلك ، فهل ينبغي أن ننادي بإبعاد المعاني الجميلة من الحياة ؟ !!

---

(٣) المائدة آية ٤٨ و ٤٩

هذا هو الاصل الاول من اصول هذا الدين .

اما الاصل الثاني فهو خلود رسالة محمد عليه الصلاة والسلام وبقاؤها على كر الدهور ومر السنين لا ينالها التغيير والتبديل ، ولا التصحيح والتعديل ، فيقول الله سبحانه « ومن يبتغ غير الاسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين (١) » .

وتفيض نفوس المفتونين بالعجب وهم يشاهدون تطور الحياة وتعقد المعيشة وتغيير الدساتير تبعاً لذلك من آن لآخر ، فلم لم يغير التطور أصول الحق والعدل فنعتبر هذا العمل محض الانسانية وعنوان الحق والرحمة ؟

ونقرأ في مسلة حمورابي أصولا رائعة في التشريع فنعجب بها وكأنها بنيت اليوم . فلم لم يغير تطور الحياة من قيمتها شيئاً ؟

ثم ألا ترى أن « الماكنا كارتا » لا تزال أصل التشريع في انجلترا وما هي الا الواح مكتوبة قبل اكثر من الف سنة ؟ وليت شعري هل يأتي زمن تعتبر فيه لائحة حقوق الانسان لائحة اجرامية ؟ ! ! حقاً انه لهراء .

ان وجه الصواب في هذه المسألة ان الناس لا يدركون جوانب الحياة على ما هي عليه ، ولا ينظرونها نظرة صائبة . ومن نظرتهم هذه يأتون بالقوانين القاصرة التي لا تلائم سنن الحياة والمتخلفة عن ركبها فلا يبادرون بتطبيقها الا ويظهر فيها التخلف فيضطرون الى تبديلها — ومن هنا كثر التبديل والتعديل ، فأصبح في مفهومهم امرا لازما وحقيقة لا معدى عنها ان تتغير القوانين والنظم دائما .

والصواب ان تتغير نظرتهم وتتبدل فكرتهم فلا يشترعون لا نفسهم ويدعون ذلك لخالقهم وبارئهم « ان الحكم الا لله يقص الحق وهو خير الفاصلين ٢ » .

هذان اصلان من اصول هذا الدين الذي ندعو الناس اليه ونحثهم على اتباعه .

---

(١) سورة آل عمران آية ٨٤

(٢) سورة الانعام آية ٥٦